

المملكة التي وحدت شمال إفريقيا تحت راية الأمازيغ في عصور ما قبل الميلاد. في الوقت الذي كانت فيه روما واحدة من أكبر وأقوى الإمبراطوريات في العالم، كانت هناك مملكة أخرى تضاهيها في القوة، وهي مملكة نوميديا. تلك المملكة التي حكمت شمال إفريقيا وأسست توحيدها لتكون مملكة عظيمة بعد أن كانت تعاني من التشتت والانقسام.#

من المؤسف حقاً أن كل ما نعرفه عن حضارة نوميديا ضئيل جداً، فالتاريخ النوميدي لم يكتبه النوميديون أنفسهم، بل وصل إلينا من خلال النُكَّاب اليونانيين والرومانيين، وحتى هؤلاء لم يركزوا سوى على الجانب الثقافي. فقط أُطلق اسم نوميديا على المنطقة الجغرافية ما بين قرطاج وبلاد المور، بالرغم من وحدة المكان إلا أن الدولة النوميديّة لم تقم إلا في فترات متأخرة مع ظهور قرطاج. كان ذلك بزواج حرباز ملك المكسيطاني من الأميرة الفينيقية أليسا، ليكون ذلك بداية لتأسيس الدولة النوميديّة. وأُطلق اسم الدولة النوميديّة على عدد من الممالك، نذكر منها

****المملكة الماسيلية**** تعتبر هذه المملكة الدولة النوميديّة الأولى، قامت ما بين غرب تونس وشرق الجزائر في القرن الثالث قبل الميلاد، كان ذلك على يد الملك غايا الذي يعود أصله وأصل العائلة الماسيلية إلى منطقة جبال أوراس.

****المملكة المازاسيلية**** هي المنطقة الغربية من الدولة النوميديّة، يُطلق عليها اسم موريتانيا، تبدأ حدودها من نهر ملوية حتى الريف. أسست المملكة المازاسيلية على يد سيفاكس عام 220 قبل الميلاد، ويعود نسبه إلى البربر، وهو أول من قام بصك عملة عليها صورة الملك. جعل سيجا عاصمة للدولة النوميديّة الغربية التي أخذها من قرطاج، وحاول التوسع في قرطاج للحصول على مدن ساحلية لجمع المؤن وجعلها قواعد عسكرية، وأقام تحالفاً مع قرطاج والإمبراطورية الرومانية ودول البحر المتوسط مثل إسبانيا. واستطاع كذلك التوسع في المملكة الماسيلية، واحتل عاصمتها كرتا من سنة 203 قبل الميلاد إلى 206 قبل الميلاد. لكن دخول ماسينيسا في حلف مع روما غير المعادلة، وهزم ماسينيسا سيفاكس وقتله في معركة زاما سنة 202 قبل الميلاد، والتي احتل فيها ماسينيسا أغلب حواضر مازاسيليا، لتنتهي بذلك المملكة المازاسيلية.

حصل ماسينيسا على الدعم من روما طوال فترة حكمه بعد أن تحالف معهم ضد عدوهم قرطاجة، وبذلك حصلت مملكة نوميديا منذ بدايتها على حليف قوي.#

بعد أن استقرت الأمور في المنطقة، اتخذ ماسينيسا من مدينة سيرتا عاصمة لمملكته، وهي تقع في منطقة الشرق الجزائري والتي تعرف حالياً بمدينة قسنطينة. وقد اهتم ماسينيسا بعاصمته الجديدة، فبنى لها أسواراً وحصوناً لصد الأعداء، وقسمها إلى أحياء سكنية وتجارية ومرافق عمومية وإدارية ودينية.

تكونت الدولة النوميديّة من عدد من القبائل التي شكلت الدولة النوميديّة، كان ذلك من ليبيا شرقاً حتى موريتانيا غرباً، بما في ذلك سلسلة جبال الأطلس وتونس في الشمال ونفوسة في الجنوب. من هذه القبائل:

.الليبيونهم سكان تونس وخضعوا لحكم قرطاج.

.الميتاجونيتاس شعوب سكنت من نوميديا إلى الوادي الكبير.

.الأفراع: سكان البلاد الأصلية ويعيشون في الجزائر، ومعنى الأفراع المغارة.

.البربرهذا المصطلح أُطلق على كل شخص لا يتكلم اللاتينية أو أن أصله ليس رومانياً، وهو اسم قبيلة في موريتانيا.

.الأمازيغهم سكان شمال إفريقيا في جبال الأطلس ونفوسة.

ازدهرت مملكة نوميديا في عهد ماسينيسا الذي اهتم بدولته اهتماماً كبيراً. فإلى جانب تقوية جيشه، عمل ماسينيسا على توحيد وتقوية المملكة وذلك من خلال التعاقد مع زعماء القبائل والاعتماد على المصاهرات واستغلال الشعور الوطني المبني على الهوية الأمازيغية وإيقاظ المشاعر الدينية في خدمة الشعور الوطني. كما عمل ماسينيسا على مهادنة روما في سبيل بقاء مملكته. لما كانت قبائل الأمازيغ قبائل رحل، فقد اهتم ماسينيسا بالزراعة حتى يستقروا في المملكة، كما عمل على تشييد القرى الزراعية وإنشاء ضيعات ذات مدخول وافر. وقد تحقق له ما أراد، فاستقرت القبائل الأمازيغية وتعلقت بأرضها أخيراً.

كما ازدهرت التجارة في عهد ماسينيسا الذي اهتم بالتبادلات التجارية مع معظم دول حوض البحر الأبيض المتوسط. لكن أهم ما ميز مملكة نوميديا هو كونها من أوائل الدول التي صكت العملة في التاريخ، فقد قام ماسينيسا بصك نقود من الفضة والبرونز والنحاس والرصاص. وقد بلغت تلك العملة من القوة أنها لم تقتصر على استعمالها داخل نوميديا فقط، بل استخدمت أيضاً في التعاملات التجارية مع الدول الأخرى، لتصير مملكة نوميديا بذلك قوة تجارية عظيمة تحت حماية أسطول حربي قوي.

اهتم ماسينيسا أيضاً بالكتابة، فقد استخدمت في تسيير شؤون الدولة، وكانت الكتابة المعتمدة في المملكة النوميديّة هي تيفيناغ، والتي تعد واحدة من أقدم الأبجديات في التاريخ، وقد عُرفت باسم الكتابة الأمازيغية أو الكتابة الليبية القديمة. وبالرغم من أن الأمازيغ لم يسجلوا تاريخهم بأنفسهم، إلا أن هناك بعض النصوص التي خلفوها وراءهم بأبجدية تيفيناغ، والتي تعد شاهداً هاماً على هذا العصر.#

توفي ماسينيسا عام 148 قبل الميلاد، كان ذلك بعد فترة حكم دامت أكثر من خمسين عاماً، لينتقل عرش نوميديا إلى ابنه ميسيسيس أو كما يُعرف باسم مكوسن. استمرت المملكة بنفس القوة والازدهار التي كانت عليهما إبان حكم ماسينيسا، بخلاف والده فقد سعى مكوسن إلى النأي بدولته عن الحروب، فلم يكلل الطريق الذي بدأه والده من حيث توسيع رقعة المملكة، إنما صب اهتمامه على تطوير نوميديا، فعمل على عمارتها وتحصينها وتجميلها، لا سيما العاصمة سيرتا. كما اهتم مكوسن اهتماماً كبيراً بالعلم والعلماء، فقرّبهم من مجلسه،

وعُرف بحبه لدراسة الفلسفة، فبلغت مملكة نوميديا في عهده أزهى عصورها، وصارت قبلة للعلماء والفلاسفة والفنانين اللاتينيين منهم والإغريق.

استمر مكوسن في حكم مملكته نوميديا ثلاثين عاماً حتى وفاته عام 118 قبل الميلاد، لتنتقل السلطة من بعده إلى شقيقه الأصغر يوغرطة، رغم أنه كان هناك وريثان آخران للعرش هما هامسيبال واذربال ابنا مكوسن. غير أن مكوسن اضطر لجعل يوغرطة وريثاً نزولاً عند رغبة روما التي رأت في يوغرطة جندياً بارعاً مؤهلاً لخدمة روما. فاشتراط في وصيته أن تحكم نوميديا بشكل مشترك بين الثلاثة بعد وفاته. #

بعد وفاة مكوسن، بدأ عهد الانهيار للمملكة النوميديّة، وكان ذلك عندما أهان هامسيبال عمه يوغرطة، فقام هذا الأخير بقتله، ثم قاد حرباً ضد ابن أخيه الآخر اذربال. وتمكن من أسره وقام بتعذيبه حتى الموت، وانفرد بعد ذلك بحكم مملكة نوميديا.

بخلاف سابقه، فقد اصطدم يوغرطة مع روما التي كانت تعدّه حليفاً قوياً لها، فاستولى على أراضٍ تابعة لها. بدأت الحرب بين الطرفين والتي استمرت حوالي عشر سنوات، كان ذلك قبل أن تلجأ روما إلى الخداع للقضاء على يوغرطة، حيث لجأت إلى صهره بوخوس حاكم موريتانيا والذي كان حليفاً لروما. تم الاتفاق بينهما على منح بوخوس أراضٍ جديدة في نوميديا، إضافة إلى العديد من المزايا إذا تمكن من الإيقاع بيوغرطة. بالفعل استطاع بوخوس استدراج يوغرطة إلى موريتانيا وتمكن من اعتقاله وتسليمه إلى روما، والتي قامت بتعذيبه وقلته شقاً عام 104 قبل الميلاد. #

بعد وفاة يوغرطة، عادت مملكة نوميديا للانقسام مرة أخرى، فأصبحت الأجزاء الغربية تحت حكم بوخوس والتي وهبتها له روما جزاء خيانتة، أما الأجزاء الشرقية فتولاها الأخ غير الشقيق ليوغرطة ويدعى غودا، وقد كان هذان الاثنان حليفان لروما، وبذلك فقدت نوميديا وحدتها السياسية. بعد وفاة غودا، تولى ابنه هاميسبال الثاني حكم الأجزاء الشرقية من نوميديا، ثم خلفه ابنه جوبا الأول والذي على خلاف والده وجده لم يكن حليفاً لروما، بل تحالف مع بومبيوس الكبير ضد يوليوس قيصر قبل أن يضطر إلى الانتحار بعدما أدرك أن الهزيمة أصبحت حتمية. قام يوليوس قيصر بضم نوميديا إلى الإمبراطورية الرومانية عام 46 قبل الميلاد، لتنتهي بذلك المملكة النوميديّة التي استمرت 156 عاماً. #

جرت محاولة لاستعادة المملكة النوميديّة وتوحيدها مرة أخرى على يد أرابيو، والذي كان متحالفاً أيضاً مع بومبيوس الكبير ضد يوليوس قيصر، ثم هرب إلى إسبانيا بعد الهزيمة، حيث قام في عام 44 قبل الميلاد بالاستيلاء على المناطق الغربية الواقعة تحت سيطرة بوخوس، كما أعدم بابليوس ألتيس الذي وهبه الرومان على العاصمة سيرتا. لكن محاولته لتوحيد المملكة النوميديّة سرعان ما باءت بالفشل. تم إعدامه في النهاية، ليتولى بعده جوبا الثاني حكم دولة نوميديا التابعة للإمبراطورية الرومانية، ثم ابنه بطليموس الذي كان آخر حاكم من قبيلة المسيلي، وبوفاته انتهت سلالة المسيلي في نوميديا.